

تسليع الجسد/المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة_قراءة في نماذج مختارة من روايات أمين الزاوي

Body Commoditization/The Woman In Modern Algerian Novel-A Reading In Chosen Samples Of Amine Zaoui Noveles

ط. د. نعيمة بلي *

جامعة محمد الصديق بن يحيى -جيجل (الجزائر) naima.belli@univ-jijel.dz

تاريخ النشر: 2024/09/30

تاريخ القبول: 2024/09/20

تاريخ الاستلام: 2024/07/18

Abstract: Poets have always written about women and flirted with their charms, have taken it as a symbol to pass thier ideas and ideological visions, but this topic did not retain its aesthetic, but rather transcended the space of creativity and imagination to the world of consupution and commodification, and as a result the creator moved by directing his text from the idea and imagination as much as it cares about satisfying its physical needs, thus turning the female body in the novel into a consumable commodity, which the writer uses as a means to reach the largest number of readers, and to achieve material profit and fame at the expense of the cultural aspect, and it may also be used to break taboos such as politics and religion ; This is because he is aware that the popular masses reading this genre are only concerned with pleasure, and perhaps among the most prominent Algerian novelists who have accompanied this narrative track is "Amine Al-Zawi", throught most of his novels in which he made the woman's body a means to pass his ideological vision, in addition to emergence of a culture of promotion and mareketing to increase readability or what is known as the culture idustry. Based on this proposition, this research paper came to revzal the manifestation of the commodification of the woman's body in some of Amine Al-Zawi's novels throught two levels: external thresholds sush as the cover image and titles, as well as text of the novel from two aspects, material .

Keywords: commodification; body; marketing; elite; public.

الملخص:

لطالما كتب الشعراء عن المرأة وتغزلوا بمفاتنها، كما اتخذها الروائيون رمزا لتمير أفكارهم ورؤاهم الأيديولوجية، لكن هذا الموضوع لم يحتفظ بمواطن الجمالية فيه، بل تجاوز فضاء الإبداع والتخييل إلى عالم الاستهلاك والتسليع، نتيجة لذلك انتقل المبدع بتوجيه نصه من النخبة المتذوقة للنص الإبداعي إلى طبقة جماهيرية شعبية، لا تهتم بالفكرة والتخييل بقدر اهتمامها بإشباع حاجاتها الجسدية، فتحول الجسد الأنثوي في الرواية بذلك إلى سلعة مستهلكة، يستعين بها الكاتب كوسيلة للوصول إلى أكبر عدد من القراء، ولتحقيق الربح المادي والشهرة على حساب الجانب الثقافي، وقد يستخدم أيضا لكسر طابوهات محزنة كالسياسة والدين؛ ذلك أنه واع بأن الجماهير الشعبية القارئة لهذا النوع لا تهتم إلا بالمتعة، ومن بين أبرز الروائيين الجزائريين الذين واكبوا هذا المضمار السردي "أمين الزاوي"، في بعض رواياته التي جعل فيها جسد المرأة وسيلة لتمير رؤيته الفكرية، إلى جانب بروز ثقافة الترويج والتسويق لزيادة المقروئية أو ما يعرف بصناعة الثقافة الجماهيرية، تأسيسا على هذا الطرح جاءت هذه الورقة البحثية لتكشف عن تمظهرات تسليع جسد المرأة في بعض روايات أمين الزاوي عبر مستويين هما: العتبات الخارجية كصورة الغلاف والعناوين، وكذلك المتن الروائي من ناحيتين أيضا مادية ولا مادية.

الكلمات المفتاحية: التسليع؛ الجسد؛ التسويق؛ النخبة؛ الجمهور.

مقدمة:

تطورت النظريات الأدبية والمناهج النقدية والدراسات الثقافية، فعرفت تحولا في الأفكار والرؤى المختلفة المجالات والمشارب، التي اخترقت بدورها مجال الإبداع وفنون القول، ليصبح بذلك النص الأدبي مجالا خصبا للتحريب كما للنقد، حيث جمع بين المختلف والمؤتلف، وتزود بدلالات وحمولات ثقافية جديدة، من بينها ما جاءت به الدراسات الثقافية المعاصرة، من امتزاج بين العلوم والمجالات السياسية والاقتصادية وغيرها، حتى انبرى النص المعاصر يعالج قضايا دخيلة على الأدب، منها قضية التسليع وصناعة الثقافة وسياسة الاستهلاك، ولتجسيد هذه الأفكار في النصوص الإبداعية اتخذ المبدعون ثيمات عديدة، منها ثيمة الحب والجسد والمرأة التي أصبحت تحتل أبعادا شتى.

ولطالما كتب الشعراء عن المرأة وتغزلوا بمفاتنها، كما اتخذها الروائيون رمزا لتمرير أفكارهم ورؤاهم الإيديولوجية لكن هذا الموضوع لم يحتفظ بمواطن الجمالية فيه، بل تجاوز فضاء الإبداع إلى عالم الاستهلاك والتسليع، وكنتيجه لذلك انتقل المبدع بتوجيه نصه من النخبة المتذوقة للنص الإبداعي إلى طبقة جماهيرية شعبية، لا تهتم بالفكرة والتخييل بقدر اهتمامها بإشباع حاجاتها الجسدية، فتحول الجسد الأنثوي في الرواية بذلك إلى سلعة مستهلكة، يستعين بها الكاتب كوسيلة للوصول إلى أكبر عدد من القراء، ولتحقيق الربح المادي والشهرة على حساب الجانب الثقافي، وقد يستخدم أيضا لكسر طابوهات محرمة كالسياسة والدين؛ ذلك أنه واع بأن الجماهير الشعبية القارئة لهذا النوع لا تهتم إلا بالمتعة. ولعل من بين أبرز الروائيين الجزائريين الذين واکبوا هذا المضمار السردى "أمين الزاوي"، عبر جلّ رواياته التي جعل فيها جسد المرأة وسيلة لتمرير رؤيته الإيديولوجية، إلى جانب بروز ثقافة الترويج والتسويق لزيادة المقروئية، أو ما يعرف بصناعة الثقافة الجماهيرية، تأسيسا على هذا الطرح نتساءل: ما هي مظهرات فكرة تسليع الجسد في روايات أمين الزاوي؟.

وارتكازا على هذه الإشكالية تولدت لدينا تساؤلات أخرى منها: ما المقصود بفكرة تسليع الأدب؟ ما هي الحدود الفاصلة بين الأدب النخبوي والجماهيري؟ كيف تجلت هذه المفاهيم في روايات أمين الزاوي؟. إن الإجابة عن هذه التساؤلات تقتضي تقدما للمفاهيم، ثم معالجتها في النماذج المختارة عبر محورين هما: العتبات الخارجية كصورة الغلاف والعناوين، وكذلك المتن الروائي من ناحيتين أيضا مادية ولا مادية.

1. مدخل مفاهيمي:

يأخذ النص الأدبي من كل شيء بطرف، ويعالج كل ما له صلة بالوجود والإنسان، لذلك يتعالق هذا النص مع خطابات متصلة بمجالات عديدة، كالسياسة والاجتماع والاقتصاد، هذا الأخير الذي ارتبط بمجال الإبداع والفنون والأدب، فانزاحت النصوص عن دلالات تقليدية لتتشع أبعادا أخرى، وهي بكل تأكيد ذات حمولات أيديولوجية وثقافية

شقي، تنساق مع مختلف المذاهب الفلسفية والنظريات النقدية المعاصرة، التي قوضت المفاهيم السائدة، وحطمت الأعراف والتقاليد الإبداعية، كما رامت بناء صرح مفاهيمي جديد، ولعل من أبرز هذه التظاهرات هو مجال صناعة الثقافة، أو جعل النص الأدبي سلعة مادية تباع وتشترى، يتهافت عليها القراء من مختلف الفئات الفكرية، وذلك عن طريق الرّجّ بثيمات داخل هذه النصوص، تساعد على الترويج لها والتشجيع على قراءتها، وهو ما يعرف بتسليع الجسد والإيحاءات الجنسية المغرية.

ويعرف "التسليع" (Commoditization) على أنه: "تحويل الأشياء المعنوية التي لا تباع إلى سلع استهلاكية قابلة للتداول والمضاربة" (ريفيو، 2020)، كالقيم والأخلاق والمسلمات والأفكار والفنون والآداب، التي تنتقل من موضع نخبوي بورجوازي خاص، إلى موضع آخر يتسم بالشعبوية والعامة المهمشة، كالمظاهر الثقافية القيمة التي تصير متاحة لجميع فئات المجتمع. وهو أيضا "تحويل عناصر الثقافة والفنون إلى منتجات وأشياء سلع" (الدريس، 2023، صفحة 18). وهي عملية تحويل شيء لا يعتبر عادة سلعة تجارية إلى سلعة يمكن بيعها وشراؤها في السوق، هذا المفهوم لا ينطبق فقط على المنتجات المادية، بل يمكن أن يشمل أيضا الأفكار، الخدمات، والقيم الثقافية، والأشخاص، وفي هذا السياق يصبح كل ما يخضع لهذه العملية قابلا للتبادل التجاري، كما يتأثر بالمعايير الاقتصادية والتجارية مثل اللاعبين الرياضيين، إذ "يقابل هذا المصطلح في اللغة الإنجليزية لفظة Comercialization واختير تعريفها بإعطاء مثال حول تسليع كرة القدم، بتحويلها من رياضة إلى تجارة مربحة للنوادي واللاعبين، الذين يضحون سلعة تباع من ناد إلى آخر". نقلا عن (بريو، 2024، صفحة 329).

أما التسليع في الأدب فهو جزء من ظاهرة أوسع تتعلق بتسليع الثقافة والفنون بشكل عام، أي الآليات التي يتم خلقها واتباعها للترويج للأدب، فيثير بذلك تساؤلات حول كيفية تأثير الديناميات الاقتصادية على الإبداع والثقافة، وقد شكل هذا الموضوع محور نقاشات في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة، حيث يحاول النقاد فهم كيف يؤثر السوق على جودة وقيمة الأدب. ولعل هذه المفاهيم نجدها متجلية في النصوص الأدبية المعاصرة، حيث تحول الخاص النخبوي إلى عام جماهيري، وكذا الإنسان عامة والمرأة خاصة، حيث تحولت إلى موضوع أو شيء أو سلعة متداولة بطريقة مبتدلة غير ذات قيمة أو جمالية، وحتى العلاقات بين الشخصيات داخل الخطابات الروائية تتحول إلى موضوعات وأرقام —حسب آرثر ايزابارجر—، لكن هذا المفهوم قد استخدم بطريقة جمالية، "وقد اهتم وولفجانج هوج Wolfgang Haug عام 1987م بما أسماه الجمالية السلعية Commodity aesthetics" (إيزابارجر، 2002، صفحة 95). ومن خلال مفهوم "الجمالية السلعية"، يعبر "ولفجانج هوج" عن قلقه من أن الفنون والجماليات قد تختزل إلى مجرد سلع

تجارية تقيم بناء على قدرتها على تحقيق الربح، مما يؤثر على الإبداع والتعبير الفني، ويسلط هذا التوجه الضوء على التوتر بين القيم الفنية والتجارية في الثقافة المعاصرة.

ولعل المقصود بالطريقة الجمالية في التسليع، هو إثارة رغبة المتلقي الجماهيري لقراءة النصوص المراد ترويجها، وذلك عن طريق التخييل - مشاهد مثيرة - ووصف الجسد باللغة؛ ذلك أن الروائي يستخدم كلمات معينة دون غيرها، مواكبا ما ذهب إليه "وولفجانج هوج": "إن استخدام Haug للغة أمر جدير بالاهتمام فهو يستخدم كلمات من مثل: Stimulate، ورغبة Dsire، ويمتلك Posses، ودافع Impulse، كل منها له دلالات جنسية" (إيزابارجر، 2002، صفحة 95). وتجد الإشارة إلى أن "وولفجانج هوج" (Wolfgang Haug) هو أكاديمي ألماني معروف بأعماله في مجال الفلسفة الاجتماعية والنظرية النقدية المتعلقة بالمجتمع والسياسة، ويعتبر هوج من الشخصيات البارزة في مجال الفلسفة اليسارية، وله إسهامات كبيرة في تطوير أفكار حول العلاقات بين الأفراد والمجتمع. وقد اهتم بمجال السلعة الجمالية وصناعة الثقافة، من خلال انتقاده للطريقة التي تصنع بها الثقافة وتعرض في المجتمع المعاصر، كما يتناول "هوج" في أعماله كيف تتحول الثقافة والفنون، إلى سلع تعرض في الأسواق وتقيم وفقا لمقاييس تجارية، بدلا من القيم الجمالية أو الإنسانية الأصيلة). وهو ما استغله الروائيون في نصوصهم ليحافظوا على الزواج والمقروئية، مستغلين في ذلك كل مل له علاقة بالجسد من إحياءات ووصف وصور، حتى تبلور مفهوم آخر له صلة بثقافة صناعة النصوص، هو "أدب الجسد".

ويعرف "أدب الجسد" أو "البورنوجرافيا" Pronography على أنه: "مؤلفات تتصل بالعلاقات الجنسية على اختلاف أنواعها، ومن هذا النوع من الأدب ما يسمى بالأدب الماجن، والمقصود منها الإثارة الجنسية" (وهبة و المهندس، 1984، صفحة 22). وفي هذا النوع من الأدب يتم تصوير جسد المرأة على وجه الخصوص، تصويرا جنسيا ماديا مجردا من الإنسانية والفكر، فتعامل على أنها شيء أو سلعة، ومن هنا تتبلور فكرة تشييء الشخص، وجعلها مجرد أرقام لا قيمة إنسانية لها، وله عدة تسميات منها: "الأدب المكشوف، أو أدب الفراش، أو الأدب الصريح، أو أدب العاهرات، وغيرها من أسماء فرضت نفسها على نوع من الكتابة، هي الكتابة عن الجنس". (كيوان، 2003، صفحة 54). فهذا النوع من الأدب الذي يركز بشكل كبير على الجنس والإثارة الجنسية، هو أدب ماجن ذو أبعاد أخرى غير أدبية، تتجاوز الغرض الجمالي الإبداعي والمتعة الفكرية، إلى أسباب أخرى قد تكون سياسية أو اقتصادية، لها تأثيرها الثقافي والأخلاقي والاجتماعي.

ولعل الهدف المنشود من هذا النوع من الكتابة هو الوصول إلى اللذة المتخيلة، كما ذهب إلى ذلك "رولان بارت" في كتابه "لذة النص"، فالهدف من "الوصول إلى نهاية الحكاية هو الإشباع الروائي، أما الذي نحن فيه فهو على

العكس من ذلك، لأن ثمة استهلاكاً جماعياً، إنه لذة ذات طابع ثقافي في أكبر من اللذة الأخرى" (بارت، 2002، الصفحات 33-34). وهذه اللذة هو ما يرجوه القارئ الشعبي المتطفل على عالم الأدب النخبوي، حيث يذهب "دي توكفيل" إلى أن الأدب تحول إلى مجرد سوق استهلاكي، فنجد "يعمم هذه الصورة على مجالات الإبداع الفني المختلفة؛ كالأدب والمسرح والشعر والنحت والرسم، متهما الأنظمة الديمقراطية بمسؤوليتها عن هذا التدهور المفجع، لأنها سمحت بظهور فئات اجتماعية جديدة، تحاول الصعود بسرعة في السلم الاجتماعي ولها تطلعات تفوق إمكاناتها المادية والفكرية، وتكون بالتالي سوقاً رائجة لهذا الإنتاج السوقي الهابط" (بلي، 2007، صفحة 165). إن التحليل الذي يقدمه "دي توكفيل" يبرز دور الأنظمة الديمقراطية -الرأسمالية تحديداً- في تحويل الأدب والفنون إلى سلع تجارية ضمن سوق استهلاكي، هذا التحول يعزى إلى ظهور فئات اجتماعية جديدة تسعى للصعود الاجتماعي ولها تطلعات تفوق إمكاناتها المادية والفنية والثقافية، مما يخلق طلباً على إنتاج ثقافي سوقي يفضل الربحية على القيمة الفنية، فهذه الظاهرة تعكس كيف يمكن أن تؤثر القوى الاقتصادية والاجتماعية على المجال الثقافي والإبداعي، وهنا نرى أن "دي توكفيل" يندد ويطالب برجوع ثقافة نخبية راقية فكرياً ومادياً، تقدر الفن والأدب وتتذوقه بعيداً عن الثقافة الجماهيرية المبتذلة.

2. تمظهرات التسليع في روايات أمين الزاوي:

يعتبر الروائي "أمين الزاوي" من أبرز الروائيين الذين يستخدمون الجسد/المرأة في نصوصه بشكل كبير، وربما يعود ذلك إلى توجه الروايات المعاصرة في تكسير الطابوهات المحرمة، أو لرغبته في تمرير رسالة ما متخفياً وراء هذه التيمة، ولكن يوجد احتمال لأن تكون ثقافة التسليع أو الترويج والتسويق بغية الشهرة هي السبب وراء ذلك، وعلى العموم سنرى مظاهر ذلك في نصوصه.

2. 1. التسليع في العتبات الخارجية:

تعد عتبات النصوص مفاتيح للولوج إلى عوالم النص الداخلية وفك شفراتها الرامزة، والغلاف الخارجي هو العتبة الأولى التي تصادف القارئ وتسمح له بسبر أغوار النص، وذلك بما يحتويه من صور ورموز ذات أبعاد دلالية يمكن أن تكون لها علاقة بموضوع الرواية، فالغلاف له "وظيفة في فهم خصوصية النص وتحديد جانب أساسي من مقاصده الدلالية" (الحجمري، 1996، صفحة 07). وغالباً ما يكون للغلاف صلة بدلالات النص وبأنساقه الظاهرة والمضمرة، فالغلاف ومكوناته يعد المدخل الأول لعملية القراءة" (الخطيب، 2006، صفحة 30). وقد كان الغلاف الخارجي لروايات "أمين الزاوي" المختارة، في معظمها دالاً على مفهوم التسليع، فهي تشتمل في جلّها على أيقونات وصور للمرأة وإغراء الجسد والدعاية الجنسية، مثل غلاف رواية "رائحة الأثني" وغلاف رواية "الساق فوق الساق" وكذا

غلاف رواية "وحشة اليمامة"، وقد وقع الاختيار على هذه الروايات تحديداً، نظراً لما تحتويه من تمثيل لفكرة تسليع الجسد الأنثوي داخل النسيج الروائي وفي العتبات الخارجية، فصورة الغلاف الخارجي بما تحتويه من ألوان لافتة وجاذبة، وصور مغرية للمرأة في وضعيات مختلفة، تتفياً التأسيس لخطاب جماهيري يصل لأكثر عدد من الشرائح الاجتماعية، كما تغري المتلقي بتتبع ما تنطوي عليه الرواية من إغراءات الجسد، ناهيك عن الحضور الطاغي لجسد المرأة. فعندما نستقرئ غلاف الروايات ندرك أن الروائي واع بزج خطاب يوحى بوجود تيمة الجنس، كما يدل بوجود علاقة جنسية محرمة داخل النص الروائي، أليس هذا خطاب صريح للجسد وترويج له بطريقة تجسد فكرة الصناعة والترويج، إلى جانب جعل المرأة سلعة مبتذلة الغاية منها المتعة المتخيلة من قبل القارئ.

والأمر ذاته ينطبق على عتبة العناوين، حيث "يعد العنوان نظاماً سيميائياً ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبع دلالاته ومحاوله فك شفراته الرامزة، فالعنوان بالنسبة للسيمولوجي بمثابة بؤرة ونواة للنص، فهو يمنحه الحياة والروح والمعنى النابض" (الخطيب، 2006، صفحة 32). فدلالات العناوين التي اختارها الروائي تفضي بوجود تيمة الجسد/الجنس داخل النص السردي، فرائحة الأنثى توحى بخطاب الإغراء لعطر المرأة الذي يجذب الرجل، ووحشة اليمامة تروم إلى وصف شعور الأنثى بالوحدة ورغبتها في الرفقة، وكذا الساق فوق الساق عنوان يدل على الإيجاء بالرغبة في العلاقة الجسدية، أو طريقة جلوس المرأة الراقية ووضعها الساق فوق الآخر، وهذه العتبات تحيل على معاني كثيرة منها تشييء المرأة، واستثمارها كمنتوج ثقافي لجذب المتلقي الجماهيري، غير القارئ النخبوي المتذوق للنص الإبداعي وهو نوع جديد من تكسير الطابوهات والتسويق والترويج الذي يروم الشهرة، بغض النظر إلى المعايير والقيود الاجتماعية، وتحدّر الإشارة إلى أن دلالة الجسد في العتبات لها علاقة بما جاء في المتن الروائي.





2.2. التسليع في المتن الروائي:

إن البحث في مظاهر التسليع في الروايات المختارة، يقودنا إلى البحث عن مواضع توظيف جسد المرأة بمفهوم الشيء/السلعة، متبينة مبدأ صناعة الثقافة التي تستهدف بها الوعي الجماهيري غير النخبوي، لأسباب مادية صرفة، تبناها الروائيون لأجل الشهرة والمقروئية والترويج لأسمائهم من جهة، ومن جهة أخرى لأسباب غير مادية، ساعين من خلالها إلى طرق موضوعات كانت محرمة من قبل، سواء بشكل مباشر أو استخدام تيمات حساسة، كالعلاقات الجنسية والجسد أو المرأة تحديداً.

إن روايات "أمين الزاوي" تكسر الطابوهات كما تحرق أفق توقع القارئ النخبوي، الذي ينتظر أن يعالج هذا الروائي قضايا إنسانية وسياسية وفكرية بطريقة فنية، بينما يلجأ هو عن وعي وقصدية إلى توجيه خطابه لقارئ شعبي، ونلاحظ ذلك في مواضع كثيرة في الروايات المختارة، ففي رواية "وحشة اليمامة" نجد شخصية "الأم" تدفع بابنتها لأن

تكون سلعة للرجل، تقول: "أمي تريدني أن أكون مشهية أو متشهية ... تريدني أن أكون مهيجة وهائجة، مفترسة وفريسة" (الزاوي، 2002، صفحة 77). ومن خلال اللغة والكلمات المختارة التي استخدمها الروائي، مثل "مشهية ومتشهية" وكذلك "مهيجة وهائجة"، نتذكر ما ذهب إليه "وولفجانج هوج" عندما أقرّ باستخدام الإعلانات للغة حسية تشكلت من أجل الاستهلاك.

وفي هذا المقطع تجسيد صارخ لما جاء به "آرثر إيزابارجر" في كتابه "النقد الثقافي"، عندما بيّن دور المرأة في الترويج للسلع التجارية عبر الإعلانات، يقول: "... كما يرى هؤلاء النقاد أيضا أن المجتمع غير أخلاقي لأن أصحاب الإعلان يستخدمون تقنيات أخلاقية أو غير أخلاقية، ليكون في مقدورهم التأثير على الناس لشراء المنتجات والخدمات، ولهذا يحطّون من قدر المرأة ويصورونها ويستخدمونها بوصفها موضوعا للجنس" (إيزابارجر، 2002، الصفحات 99-100). والأمر ذاته ينطبق على هذه الروايات، من الوصف والصور المدرجة، بدءا من الغلاف الخارجي إلى المتن، وفي النص الإبداعي عموما فقد انمحت الحدود بين السياسة والاقتصاد والفن.

في مواضع أخرى من الرواية نجد الكاتب يروم إلى تشييء الشخصيات الأنثوية، متخفيا وراء الأصوات السردية المختلفة في النص، ونلاحظ في هذا المقطع من النص عندما تروي البطلة مشهد موت "يامنة" ولا مبالاة أمها: "... سحبت عن وجهها الغطاء، هزرتها ثانية فإذا هي جامدة، ناديت على أمي، جاءت غير مكترثة لكلامي، وحين وجدت جسدها هامدا لم تتكلم، صمتت لحظات ثم قالت، وكأنما كانت على علم بذلك: -ماتت ..." (الزاوي، 2002، صفحة 34). وهنا نستقرئ ذلك التتفيه لقيمة الروح والإنسان، حتى يصبح مجرد جسد يؤدي دورا دنيويا، والتشيؤ _حسب جورج لوكاتش_ يحول العلاقات الإنسانية والاجتماعية بالمفهوم الاقتصادي الرأسمالي، إلى مجرد سلع نفعية قابلة للتبادل والاستغناء.

بالانتقال إلى رواية "الساق فوق الساق"، نجد أن الروائي يستخدم إحياءات جنسية، من أجل تمرير رسائل ورؤى فكرية، يعبر عنها بطريقة مبتذلة مستعينا بجسد المرأة لتكسير طابوهات إيديولوجية وسياسية، يقول عن شخصية "إدريس": "حين نام لأول مرة على سرير امرأة فرنسية ومارس معها الجنس تذكر معلمته في مدرسة الراهبات بقرية قصر المورو، وشعر وكأنما فتحت أمامه أبواب باريس كلها. اللغة قطار سحري إلى جسد المرأة ... يسكنه شعور يشبه الانتقام من فرنسا التي استعمرت بلاده قرنا ونصف قرن تقريبا. المرور على جسد المرأة الجميلة هو تأشيرة المرور إلى المدينة التي قد يستعصي عليك اكتشافها" (الزاوي، الساق فوق الساق في ثبوت رؤية هلال العشاق، 2016، صفحة 39).

ونجده هنا يستخدم جسد المرأة الأجنبية مطية ليصل "إدريس" إلى مبتغاه، وهو الانتقام من الآخر المحتل، عن طريق إقامة علاقة جنسية مع نسائه، وهو نسق شائع في الروايات ما بعد الكولونيالية، يروم به الروائيون التعبير عن مواقف

فكرية، لعل أهمها الردّ على الاستعمار بالكتابة الروائية، "ظلّ عمي إدريس يتردد على الماخور نفسه لشهور عديدة، مرتين كل أسبوع، الأربعاء والسبت، وهو ما جعله يرتبط بعلاقة خاصة مع إحدى النزيلات، نزيلة الغرفة رقم 23 والتي اسمها كوليت. كانت رقيقة معه، شرقية التصرف، يحدث أن يزورها يتمددان عاريين على السرير، يفرغ ما في قلبه من شعور بالوحدة والخوف على البلد ومأساة الحرب التي تطحن الأطفال" (الزاوي، 2016، صفحة 40).

بيد أن هذه الورقة البحثية مخصصة لإبراز تظاهرات تسليع جسد المرأة في روايات "أمين الزاوي"، إلا أننا نلغي الروائي يزوج بفكرة أعمّ منها وهي تسليع الإنسان ككل، وليس المرأة فحسب، فنجد بين ثنايا الروايات إدراج جسد الرجل كخطاب مواز لجسد المرأة، حيث أصبح الإنسان عموماً مجرد آلة أو رقم، قيمته بما ينتجه، وجسده مجرد وسيلة للمتعة، يقول في "رائحة الأنثى": "في غرفة الفندق كانت الأكرانية تتشمّني، مأخوذة حدّ الغيبوبة برائحة جسدي التي فيها من العرق ورائحة النبيذ الذي ساح ليلتها على قميصي ورائحة سمك الجمبري بالثوم والقرفة والليمون. كانت تجردني من كل ثيابي ثم تلتصق أنفها بظهري وفي حفرة السرة ببطني وتقول بالروسية مخلوطة إنجليزية مكسورة: *parfume is very good*. كانت تبعد عن جسدي كل عطر تجاري كي يطلع منه عطره الأصلي المتوسطي" (الزاوي، رائحة الأنثى، 2000، صفحة 32).

وهنا تتجلى علاقة بين الأنا والآخر، الأنا العربي (الرجل) بالآخر الغربي (المرأة)، وهي بعكس ما ذكرناه سابقاً، حيث نلغي الراوي يصور جسد الرجل العربي وسيلة للمتعة بالنسبة للمرأة الأجنبية، ومحطة اكتشاف للآخر المختلف جنساً ولغة وثقافة وديناً. ونلاحظ أن الجانب المادي لتوظيف الجسد في الروايات المختارة، يمتزج بالجانب غير المادي أي الثقافي والفكري، إذ استخدم الروائي الجسد للتعبير عن رؤى إيديولوجية ومواقف فكرية ذات دلالات ومحاولات ثقافية متعددة.

من خلال البنية السردية التي استخدمها الروائي لإبراز دلالة الجسد في نصوصه، من لغة ووصف للمشاهد المثيرة، وكذا الأمكنة المختارة، نستطيع أن نفهم علاقة تيمة الجسد بالمكان الروائي، فحسب "حميد لحداني": "يعقد السارد بدءاً من الصفحة الأولى تناظراً ظاهراً بين أعضاء الجسد وأطرافه وعناصر مادية تدخل في هيئة المكان وتأثيره" (العلوي، 2006، صفحة 60). أي أنه قد يكون هناك وصف تفصيلي لكيفية تأثيث غرفة معينة، وكيف يؤثر هذا التأثيث على حركة وتفاعل الشخصيات داخل النص الروائي، حيث تتجلى العلاقة بين شكل الأثاث والشخصيات أو شعورهم نحوه، مما يعزز التأثير العاطفي على القارئ، فقد يشعر بتوتر أو راحة بناء على كيفية تصور المكان وتأثيره على الشخصيات والجسد.

ومن خلال هذا المقطع المختار من رواية "الساق فوق الساق"، ندرك طريقة استخدام جسد المرأة للاكتشاف، اكتشاف المدن والأماكن المختلفة، يقول: "المرور إلى جسد المرأة الجميلة هو تأشيرة المرور إلى المدينة التي قد يستعصي عليك اكتشافها، والتي تعاند في الاستسلام. المدن بنسائها، وفك لغز المدينة يبدأ بفك أزرار الألبسة الداخلية لامرأة تقيم بها وتنتمي إليها" (الزاوي، 2016، صفحة 39).

إن هذا الاستغلال المادي الجماهيري لجسد المرأة، وعدم الاكتراث لمعايير الكتابة الأخلاقية لدى الروائيين المعاصرين، لهو اعتراف صارخ بتبني مفاهيم وأفكار الرأسمالية النفعية، ومن يرجع إلى النصوص المختارة يدرك تمام الإدراك أن الروائي واع بدلالة خطاب الجسد، الذي يروم به مواكبة مفاهيم الكتابة المعاصرة وأهدافها.

3. خاتمة:

عالجت هذه الورقة البحثية تظاهرات تسليع الجسد، في بعض روايات "أمين الزاوي"، وقد رأينا أن فكرة التسليع في الأدب عموماً، قد طغت بمحيي مدرسة فرانكفورت التي أقرت بصناعة الثقافة، عن طريق تعميق ثقافة الاستهلاك والترويج، وتجلت في الإعلانات والخطاب الإشهاري بشكل كبير، خاصة مع محيي الرأسمالية واكتساحها مجال الاقتصاد العالمي، أما في الفن فقد عرفت أوجه، منها الدعاية والمعارض والصورة والتكنولوجيا والموسيقى وغيرها، إلى أن كان لفكرة التسليع نصيب من النصوص الأدبية والروائية خصوصاً، وذلك عن طريق توظيف المرأة تيمة للإغراء، وتشويق المتلقي للإطلاع على متن النصوص الروائية، بدءاً من العناوين وصورة الغلاف إلى المشاهد المثيرة التي تذهب بالقارئ حدّ الشعور بالرغبة المتخيلة، وقد كانت روايات "أمين الزاوي" خير أنموذج لتمثيل هذا الموضوع.

4. مراجع البحث

(2020). Retrieved from <https://hbrarabic.com>

1. الححمري، ع. أ. (1996). عتبات النص (البنية والدلالة). منشورات الرابطة: الدار البيضاء.
2. الخطيب، ع. أ. (2006). النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار. الأردن: الجامعة الأردنية.
3. الزاوي، أ. (2016). الساق فوق الساق في ثبوت رؤية هلال العشاق. الجزائر: منشورات الاختلاف.
4. الزاوي، أ. (2000). رائحة الأنتى. دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر والتوزيع.
5. الزاوي، أ. (2002). وحشة البمامة. الجزائر: دار الغرب للدراسات والنشر والتوزيع.
6. العلوي، ه. (2006). الجسد والمعنى، قراءات في السيرة الروائية المغربية. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس.
7. إيزابارجر، آ. (2002). النقد الثقافي-تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
8. بارت، ر. (2002). لغة النص. حلب: مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر.

9. بلي ح. (2007). مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن. الجزائر: منشورات الاختلاف.
10. كيوان ع. أ. (2003). أدب الجسد بين الفن والإسفاف، دراسة في السرد النسائي. القاهرة: مركز الحضارة العربية.
11. وهبة م & المهندس ك. (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. بيروت: مكتبة لبنان.
12. بريوة س. (2024). صناعة الثقافة وتسليع الادب في كتاب نسيان com لأحلام مستغانمي. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية. (1) 12, p. 329.
13. الدريس ز. (2023). تسليع الثقافة: عندما تكون الثقافة أحد مصادر الدخل. مركز أسبار.